الثورة الأحد 29 ربيع الأول 1434 هـ -10 فبراير 2013م العدد (17615)

محنة أمــة واحدة تختلقها المغامرات الطائشة

تداعيات التدخلات الخارجية على استقرار اليمن.. وعلاقات بلدين شقيقين

■.. في الوقت الذي توافــقت الإرادة الأمميــة على أمن اليــمن ودعم استقراره ووحدة أراضيه، وأجمع العالم على حل القضية اليمنية كما لم يُجــمع على قــضيــة أخــرى من قــبل، وفي حين وحــدت القــوى الكبــرى والاقليـمية موقفها لأول مرة تجاه الخيار السلمي الأوحد أمام اليمن...، وحـدها "الشـقيـقـة الإسـلامـية" تصر على أن تشذ عن الإجـمـاع لتـقف بمفـردها على نقيض العالم، وتغـرد خـارج السـرب.. بل خـارج حـتى عن حليفين استراتيجيين- نعني الصين وروسيا- يتفقان معها في كل مصلحة تقريبا، إلا أمن اليمن الذي يهم العالم بأسره!.

موقف غير مفهوم، يمكن استنتاجه ببساطة من جملة رسائل عديدة وجّهتها هذه "الشقيقة" لليمن، تدلل على نوايا غير بريئة تجاه استقراره ووحـدتـه، وتضع عـلاقـات البلدين على المحك الأصعب، ربما كـان آخـرها حمولة سفينة مشبوهة كشفتها السلطات مؤخراً، تناقلت وسائل الإعلام المحلية والدولية صورها باهتمام لافت، وتسببت في توتير علاقة - ليست بحاجـة إلى مزيد التـوتر أصلا- بين البلدين، وتصعيـد تصريحات غـير مسبوق وصل حد الغضب من الاتهامات اليمنية ضدها، وسخرية سفيرها من إمكانيات اليمن للتغطية على الجريمة - ذات مؤتمر صحفي.

الثورة/ الراصد السياسي

ثمة منطق غريب لا يفهمه اليمنيون حتى اليوم حين تنتفض "الشـقيـقـة الإسلامية" وتصدر عنها ردود أفعال غاضبة، وتصريحات "متعالية" كلما انزعج اليمنيون من تدخلها في شئونهم الداخلية، ونفي دائم وتنصل مستميت كلما أشاروا إليها بأصابع الاتهام، في قضية سلاح أو تجسس أو تهريب من اي نوع، في حين لا تولي بالا لحـجـم الألم الذي تشعر به اليمن، ولاتسمعها تنطق ببنت شفه ضد "حوزات" في بلدها يعرف ساستها أنها وراء كل مايجري!.

لا أحد يعلم ما الذي تنتظره الشقيقة "الإسلامية" من موقف يمني ملائم تجاه قضية غير ملتبسة، وجريمة مكتملة الأركان ضُبطت سفينتها متلبسة بها وقادمة من مياهها.. هل كانت تنتظر ردة فعل رومانسية؟.

واضح أن ما تم اكتشافه في المياه اليمنية لم يكن شحنة بسكويت أو ألعاب تسلية، بل شحنة موت وخراب ديار.. ثمة كارثة لا تحتمل الصمت، وطعنة لم يتوقعها اليمن، سيما في هذه الظروف الدقيقة، من شقيقة مسلمة تشاطره الدين والعلاقات التاريخّية الطيبة.. فكان لابد أن يخـرج اليـمن عن صـمـتـه وديبلوماسيته المهادنة ليعلنها صرخة مدوية وفضيحة مجلجلة كانت تستلزم اعتذارا لائقا وإجراءات صارمة لوقف التدخل!

تعلم هذه الشـقـيـقـة "العزيزة" بأن المشكلة ليست في تصـعـيـد لهـجـة التصريحات اليمنية ضدها، بل في قوة عمياء ونظرة متخبطة تخطئ تقديراتها دوما تجاه اليمن، ولا تتقن قراءة مشهده الراهن.. فهديتها التي أنعمت بها على اليمن توحي وكأن شـعـبـاً في طريقه للتقاتل، لا للتحاور.. وإلا فأية رسالة يمكن فهمها من حمولة موت أخطأت وجهتها وتوقيتها، حين ترسوُ في بلد يتأهب "لحوار"، لا لدمار.. وشعب يتوثّبُ لولوج حقبة سلام واستقرار ووحدة وطنية خالية من الدماء وروائح البارود، حقبة لا تحتمل سوى إسهامات بناءة، شحنات خيرية، مبادرات حسن نيّة، "حمولات تنموية" وأيادٍ بيضاء ترطّب العلاقات المضطربة، كماً يفعل الآخرون في الظروف الطارئة، لا أن تفـاجـئـه الشـقـيـقـة "المفتولة" بكل هذا الكم غير البريء، والكميات الكبيرة من الأسلحة والمتفجرات وأجهزة اتصالات متطورة أكد متخصصون انها معدة لاستخدامها في حـروب العـصـابات وعـمـلـيـات الاغتيالات وتفجير المنشآت المحصنة جيدا. وتضم صواريخ مضادة للطائرات وصواريخ كاتيوشا ومواد متفجرة.

فبحسب صحيفة " البيان " الإماراتية ووكالات الانباء العالمية والاستخبارات الدولية بينت التـحـقـيـقـات أن الشـحـنة «كانت في طريقها إلى أطراف داخلية معروفة وتحتوي على كميات كبيرة ومـتـنوعـة وخطرة من الأسلحـة والمواد المتفجـرة والأجـهـزة والنواظير الليلية المخـتلفـة، البـعض منها صناعـة هذه "الشقيقة" كصواريخ كاتيوشا إم ١٢٢ بالإضـافـة إلى صـواريخ أرض جـو سـتـريلا ١ و٢ تعمل بالحرارة لتـتـبـع الطائرات الحديثة بمختلف أنواعها على مـسـافـة من اربعة إلى خـمـسـة كيلو مترات». بجانب قـاذفات آر بي جي ٧ ومناظير ليلية من صناعتـها المحلية، فـضـلا عن نواظم المدفـعـية لتـحـديد الأهداف البرية والبحرية على مسافة ٤٠ كيلو مترا.

واكدت وسائل الإعـلام أن السلطات «عثرت في السفينة على كوات الأسلحة الآلية تستخدم للاغتيالات على مسافات قريبة ١٥٠ مترا ومواد متفجرة من نوع (ار.دي.إكس) ومادة (سي فور) شديدة الانفـجـار التي يمتلكها عـدد قليل من الدول في الشرق الأوسط.». وأكد وكيل وزارة الداخلية العميد عبدالرحمن حنش لـ«رويترز» أن هذه «اخطر شحنة أسلحة يتم ضـبطها عند تهـريبـها إلى اليـمن، لانـها تـحـوي مـعـدات قـتـالـية مـتـطورة ومـتـنوعة وتـتـجـاوز الشـحـنات السـابـقة التي كـشـف عنهـا في السـابق والتي اقـتـصرت على المسـدسـات التي كـانت تهرب عبر احد الموانئ التركية".

وقـال حنش انه بينمـا كـان يجـري التحقيق في الشحنة بات من المؤكد أن الأسلحـة كـانت مـتـجـهـة إلى جـمـاعـة بعينها.. الأمر الذي أكده مكتب الرئيس هادي بناء على تقـارير اسـتـخـبـاراتـية دقيقة.

كما عرض التلفزيون الحكومي الأيام الماضية لقطات لوزير الداخلية عبدالقادر مـحـمـد قـحـطان ورئيس جـهـاز الامن القومي علي الاحمدي وهما يستعرضان الأسلحة التي ضمت صواريخ كاتيوشا من عيار ١٢٢ مليمترا وصواريخ ستريلا ١و٢ المضـــادة للطائرات وقـــذائف ار بي جيه ومواد متفجرة وأجهزة رؤية ليلية ايرانية الصنع.

ورجـحـت المصـادر حـينهـا أن يؤدي اكتشاف الشحنة إلى مزيد من تدهور العـلاقـات بين البلدين المتـوترة بالفـعل بسبب اتهامات يمنية سابقة لهذه الدولة بأنها "تعمل مع الانفصاليين في الجنوب وجماعات في الشمال للمزيد من زعزعة استقرار اليمن الذي يحاول اعادة البناء بعد عـامين من الاضـطراب السـيـاسـي" حسب المصادر.

لكل هذا لم يكن مستغرباً أن يكون رد فعل اليمن بحجم الطعنة.. فسرعان ما أبلغ المنظمة الأممية بالواقعـة، ووصل فريق متخصص من لجنة العقوبات في مـجـلس الأمن الدولي، بناء على طلب الحكومـة اليمنية للاطلاع على شـحنة الأسلحة المضبوطة. وأعد تقريرا مفصلا عنها لمناقشته في مجلس الأمن الدولي. سيما بعد أن خرجت اتهامات سابقة لهذه الدولة من أعلى مستوى في اليمن. وذكرت صحيفة يمنية أن الرئيس هادي طلب صراحة من نظيره الإيراني محمود أحمدي نجاد وقف دعم الرئيس الجنوبي السـابق علي سـالم البـيض، وإرسـال الأسلحة إلى اليمن.

ونقلت وسائل إعـلام عن مـصـدر في لجنة الحوار قوله أن رئيس هادي كشف خـلال حديثـه لرئيس وأعضـاء اللجنة الفنية للحوار الوطني الأربعاء "انه بعث رسـالة إلى الرئيس الإيراني أحـمـدي نجـــاد وطلب منه ايقـــاف دعم بلاده للحـراك الانفـصـالي وإيقـاف تصـدير الأسلحة".

وقال هادي في حديثه لرئيس وأعضاء لجنة الحـوار انه "تم ضبط السفينة بعد مراقبة اتصالات بين طاقمها المكون من ٨ يمنيين وبين جهات لم يسمها موضحا أن السفينة كانت تتجه نحو الغيضه في محافظة المهرة على الحدود العمانية.

وتحدث الرئيس حسب المصدر عما وصفه بمشكلة تحول البحرين العربي و الأحـمـر إلى منطقـة مـفـتـوحـة لتـجـارة الأسلحـة، مـشـيـرا إلى أن كـثـيـرا من شحنات الأسلحة التي كانت تدخل اليمن حـتى وقت قـريب يجلبـهـا تـجـار من أوكرانيـا والمجـر ومناطق أخرى باسم وزارة الدفاع اليمنية مقابل نسب مالية باهظة ودون علم الوزارة نفسها.

وكان لافتا خروج رئيس جهاز الأمن القومي الدكتور علي حسن الأحمدي، لأول مرة، في مؤتمر صحفي عقده الأيام الماضية، أكد خلاله أن "هذه الشقيقة تقدم دعما ماديا للانفصاليين بجنوب اليمن"، واتهم طهران بالسعي"لإفشال المبـادرة الخليـجـيـة". مؤكدا أن دعـمـا رسميا وآخر من قبل الحوزات العلمية – ماديا ومعنويا- قدم وما زال لجماعة بعينها في صعدة، وتدخلت من الناحية المذهبـيـة هناك، رغم أن الصـراع ليس مذهبيا بل سياسيا.

كما كشفت صحيفة الـ«غارديان» البريطانية، نقلاً عن ناشط يمني في ما يسـمى «بالحـراك الجنوبي»، وصـفـتـه بالبارز، أن التدخل الإيراني في الشؤون الداخلية لليمن تزايد بعد الربيع العربي. مشيرة إلى أن الناشط، الذي طلب عدم الكشف عن هويته، أكد أن هذه الشقيقة "تبحث عن موطئ قدم بشبـه الجزيرة العـربـيـة للضـغـط على دول الجـوار، وليكونوا قريبين من مضيق باب المندب بحال نشوب حرب مع الأمريكيين».

ونسبت الصحيفة إلى الناشط قوله إن «الكثير من شباب الحراك الجنوبي يغـادرون اليمن بهـدوء للتـدرب في هذه الدولة، ضمن أعداد صغيرة، وأظن أنهم يجنّدون هؤلاء الشـبـان ليكونوا عمـلاء لوكالاتهم الاستخبارية في اليمن».

وذكـرت الـ«غـارديان» أن وجـدات صـغـيـرة من الرجـال المسلحين تُعـرف باسم «طيور السـمـاء» تملأ مـدينة عـدن كل ليلة، ولا أحد يعرف من هم وما إذا كانوا جهاديين أو انفصاليين أو الاثنين معاً".

كما تحدثت تقارير أميركية نقلا عن مسؤولين في وزارة الدفـاع (البنتاغون) ووكالة الاسـتـخـبـارات المركزية (سي آي أي)، عن قـيـام طهـران بنقل ثقلهـا من سوريا إلى اليمن، وسعيها إلى السيطرة على مـضـيـق باب المندب في البـحـر الأحـمـر، وهـو مـا يشكل تهـديدا للأمن بالمنطقة وخطوط الملاحة النفطية العالمية.

ويرى مراقبون أن إسـتـراتيجية هذه الدولة قائمة على السيطرة على الممرات المائية بالمنطقة وبينها ممرات اليمن.

وفيما تكشفت، بوضوح سافر، أوراق الدعم غـيـر المفـهـوم لقـوى التـمـزيق الداخلي، خـرج سـفـيـر هذه الدولة في مؤتمر صـحـفـي بصنعـاء سـاخـراً من الاتهامات حول "ضلوع بلاده في نشاط اسـتـخـبـاراتي في اليمن"، وتحدث بلغة مـتـعـالية لا تليق بديبلوماسي مهـمـتـه تحسين عـلاقـة بلده ولا تدلل على نـيـة تهدئة لعلاقة متوترة بقدر ما استفزت البلد المضيف ورفعت نبرة التصريحات المتـبـادلة، وزاد على ذلك بقـولـه: أن اتهـامـات اليمن الرسـمـيـة لبـلاده بدعم فـصـائل في الحـراك الجنوبي، كـانت نتيجة "تقارير غربية مضللة"، حد قوله. نافـيـاً عـلاقـة بلاده بالسـفـينة التي تم ضبطها مؤخرا في السواحل اليمنية"..

وبشـأن نفي سـفـيـرها لتـدخل بلاده وسخريته من إمكانيات اليمن، حين قال" هل اليمن تمتلك قنبلة نووية تـى نتجسس عليه بلاده، قـال مـحـللون إن "الحـديث الساخر للسفير يثبت تدخل بلاده أكثر مما ينفـيـه، إذ لا صلة بين الـتـدخل وامتـلاك اليمن أو عدم امتـلاكها قنبلة نووية، فـالهـدف هو القـرب من المـرات المائية في البحر الأحمر، إضافة إلى أن اليمن تعد الحديقة الخلفية للسعودية".

وبحـسـب دبلومـاسـي يمني، فـإن تصـريحـات هذا السـفـيـر عكست بوادر أزمة جديدة، بين البلدين اللذين تربطهما علاقة متوترة، منذ عقد كامل، ما كان لها أن تصل إلى هذا المستوى لولا استمرار تدفق شحنات الموت.

تجدر الإشارة إلى أن علاقات البلدين تشهد فتورا منذ يونيو الماضي اثر اتهام الرئيس هادي لهذه الشقيقة بالتورط في إنشاء شبكات تجسس لصالحـها في اليمن، وهو ما نفاه حينها سفيرها في صنعاء وطالب اليمن بتقديم الأدلة على ذلك.

وجاء تصاعد التوتر السياسي بين البلدين في أعـقـاب زيارة قـام بهـا في نهاية سـبـتـمـبر/أيلول ٢٠١٢ إلى الأمم المتحدة، عكست حجم الاهتمام الأممي بالملف اليـمني، اتهم فـيـهـا هذه الدولة الشـقـيـقـة بالتـدخل في شـؤون بلاده، وكشف عن القبض على "خلايا تجسس إيرانية" في صنعاء.

ونقلت وكـالة انبـاء سـبـأ في يوليـو الماضي أنباء تفيد بإلقاء القبض على شبكة تجسس يقودها قائد سابق في الحرس الثوري لهذه الدولة. وقال مبعوث أمريكي لصنعاء في تصريحات نشرتها صـحـيـفـة الحـيـاة العام الماضي أن واشنطن تعتقد أيضا أن تلك الشقيقة تعمل مع المتمردين اليمنيين لتوسيع نفوذها على حساب جيران اليمن في الخليج.

بحسب محللين فأن التوتر المتصاعد بين البلدين حـاليـا يرتبط بتطورات المشـهـد الثوري في سوريا، وبدء انهيار الحليف الإسـتـراتيـجي لها في المنطقة، في وقت تسـعى فيه هذه الشقيقة- عبر جـمـاعـات مسلحة تدعـمـها هنا- إلى إيجاد موطئ قدم لها في اليمن.

توصيف أكده أيضا الرئيس عبد ربه منصـور هادي في تصـريحـاته العـام الفائت حين قال بأن هذه الشقيقة "ربما فرضت نفسها كقوة إقليمية في المنطقة، وهي تسـعى إلى تعـويض خسـارتـهـا الإستراتيجية مع تزايد مؤشرات انهيار النظام في سورية ومـحـاولتـها تعـويض تلك الخسارة في اليمن".

ووجه الرئيس أثناء محـاضرة ألقاها في مـبنى الأمم المتـحـدة، الاتهام لهـذه "الشـقـيـقـة" بالتدخل في شؤون اليمن، وقـال أنهـا "تحـاول نشـر الفـوضى والعنف"، وأعلن "الكشف عن ٦ شبكات تجسـسـية تعمل في اليمن لصـالح تلك الدولة"، خمس منها تم إحالتها للقضاء. وقـال إنهـا تقـدم "الدعم السـيـاسي العسكري والسياسي والإعلامي والمالي لقـــوى الحـــراك المسلح، في جنوب الوطن"، في مـحـاولة منهـا "لإفـشـال التسوية السياسية في اليمن"، التي تمت وفق المبادرة الخليجـيـة المدعومـة أمميا ومحليا.

كما نقلت صحيفة "القبس" الكويتية عن مـصـادر مطلعة، أن الجـمـهـورية اليمنية أعدت ملفا متكاملا سيرفع إلى مـجـلس الامن، يتـضـمـن تفـاصـيـل ومعلومات عن شبكات التجسس السبع وأنشطتـها، ومـا تضمنـته اعـتـرافـات عناصـر هذه الشـبـكات، إضـافـة إلى معلومات تفصيلية دقيقة عن شحنات الأسلحة التي تم ضبطها خلال الأشهر الماضية، وكذا ما تمارسه هذه "الشقيقة" من أنشطة سياسـية عبـر دعم أطراف محلية، بهدف تفـجـير الوضع الداخلي وافشال المبادرة الخليجية.

فيما كان السفير اليمني السابق في دمشق عـبـدالوهاب طواف قـد أكد في أحاديث سابقة: إن هذه الشقيقة "تسعى لفرض نفوذها في المنطقة العربية، ولها من الوسائل والأدوات الكثير، إلا أن كل تلك الأدوات والوسائل تتسم بطابع عنف وتدمير وزرع الغام وإشعال حرائق في أي أرض تستـهدفها. وحالياً خسـرت أرضاً خصبة هي سوريا، ولذا تسعى لاسـتـبـدال تلك الأرض في اليـمن، وخصوصاً في جنوبه، بعد أن أشعلت الحرائق في شمال الوطن وتحديداً في صـعدة عبـر جـماعـة تدعـمـها مـاليـاً وسياسياً وعسكرياً".

وتابع السـفـيـر طواف في حـديثـه لـ"العـربيـة نت"، أن اسـتـراتيـجـية هذه الدولة "تتمثل في كسب ود أنصار لها في اليمن وإمـدادهم بالمال والسـلاح لإيجـاد حالة من عدم الاستـقرار حتى تفرض أجندتها المتمثلة بتشكيل بؤر سرطانية في خـاصـرة الخليج عـامـة، والآن تسـعى إلى إشـعـال الحـرائق في جنوب اليمن بالقـرب من مـضـيـق باب المندب، وكـذا بالقـرب من الســواحل اليمنية المطلة على البـحـر العربي، وهي بذلك تهـدف إلى زرع الفـوضى في مـضيق هرمـز وباب المندب ومنع مـرور النفط الخليجي. كما تدفع بعملائها في اليمن لاستـهـداف القيادات العسكرية المهمة لخلق حالة فوضى وعدم ثقة بين الأجهزة الأمنية".

يأتي هذا في الوقت الذي تنفي فـيـه هذه الشـقـيـقـة "العزيزة" كل مـايجـري، وتؤكـد مـرارا على أنهـا "تدعم أمن واستقرار ووحدة اليمن"، وأن قوة اليمن ضمن مصـالح إيران الاسـتـراتيـجـية"، فـيـمـا شـواهد الحـال تؤكد عكس ذلك تماما. وتدرك الحكومة اليمنية جيداً مدى خطورة تنامي نشاط هذه "الشقيقة" الذي تزايدت وتيـرته خـلال العـامـين الماضيين على استقرار الوضع الداخلي في البلاد، خـاصـة مع اعـلان قـيـادات جنوبية في التـيـار الانفـصـالي انهـا ستلجـأ لاسـتـخـدام السـلاح لتـحـقـيق الانفصال بالقوة. وبات الأمر بحاجة لأن تدرك حـجم المغامـرة التي تقوم بهـا في بلد كـالـيـمن لا ينـقـصـه السـلاح والاضطرابات، وانعكاسـاتـها الكارثـية على شـعب لا تنقصه المتاعب، ومنطقة برمتها لا تنقصها الشقاقات السياسية والكراهية الطائفية التي عمقت الهوة بين الأمـة الإسـلامـيـة وأهدرت ثرواتـهـا وإمكانياتها الطائلة وطاقاتها الجبارة في مـغـامـرات هدامـة سـيلعنهـا التـاريخ والأجـيـال القـادمـة عليـهـا، بدلا من أن تتـحـول إلى طاقـات ايجـابيـة تسـاعـد الشـعـوب المغلوبة على أمـرهـا، وتبني ماعجزت المذهبية الضيقة عن بنائه.